مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10 /العـدد: 01 (2022)، ص 1469-1488

فلسفة تمظهرات الراوي في الخطاب الروائي لنجيب الكيلاني

The philosophy of the narrator's manifestations in the discourse of the novelist Najib Al-Kilani

أ. خيرة شوط [1] ، أ. د. علي ملاحي [2]

[1] جامعة الجزائر2 (الجزائر)، khayra.chott@univ-alger2.dz

[2] جامعة الجزائر2 (الجزائر)، Doc_ali@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/07 تاريخ القبول: 2022/01/18 تاريخ النشر:2022/01/23

الملخص باللغة العربية :

ارتأيت أن أتناول في هذا المقال ثلاث روايات للكاتب نجيب الكيلاني، بوصفه أحد أبرز الأسماء التي لاحظت أن وجهة نظرها الفلسفية السردية مغايرة للمتداول السردي من خلال ما تبينته فيها من تمظهرات ورؤى وتواترات أيديولجية تتصل بالراوي ، الذي وجدت فيه مكونا سرديا مفتوحا ومثيرا من الناحية البنيوية الأسلوبية مع ما ينطوي عليه من تجاذبات فلسفية، ولذلك توقفت عند هذا الراوي و ما له من تقاطعات فكرية مع الواقع بكل تلبساته ، وقد حاولت أن أتعرف من خلال هذا المنطق على مدى اشتغال نجيب الكيلاني على هذا المكون السردي الأساسي، ومن ثم اجتهدت في شرح تقنيات توظيفه، وكذا كيفية تعامله مع مختلف أنماطه . وهو ما حدا بي إلى التتبع العميق لأبعاده الفلسفية الجمالية.

الكلمات المفتاحية: تمظهرات، الراوي، السرد، الروائي، الصوت، السردي، زوايا، الرؤية.

Abstract

I decided to address in this article three novels by the writer Najib Al-Kilani,as one of the most prominent names that I noticed that her philosophical narrative point is different from the narrative trader through

the appearances, visions and frequencies of the ideology related to the narrator, in which she found an open narrative component and exciting stylistic structurally with its philosophical

attractions, and there forest opped at this narrator and his intellectual intersections with reality in all his dresses, and I tried to You know from this logic how Najib Al-Kilani worked on this basic narrative component, and then he was guided in explaining the techniques of his employment, as well as how he deals with his different styles. This prompted me to deeply trace its aesthetic philosophical dimensions.

Keywords: keywords; keywords; keywords; keywords; keywords.

المؤلف المرسل: خيرة شوط

1. **مقدمة:**

أولى المهتمون بدراسة النصوص السردية أهمية كبرى لوضعيات السارد أو الراوي في عملية الحكي بكل مؤشراته الفلسفية ، وذلك بناء على وظائفه السردية الهامة التي يؤدّيها انطلاقا من مرجعيات محددة ، وهو ما يستدعي سرديا أن لا تقدم أحداث الرواية ووقائعها نفسها بنفسها، على نحو هلامي ، وإنما يجب أن يتولّى تقديمها راو واحد على الأقل، ووفق منظور معين، يمكنه أن يجعل من الزمن و المكان وثيقة عمل يستند عليها في صياغة التمظهر الفلسفي للخطاب.

حاولت في هذا السياق الفلسفي النقدي التطبيقي استكشاف كنه الراوي وظيفيا ، محاولة من خلال ذلك تتبع الإجراءات التي تستند إليها فلسفة المنهج البنيوي التكويني، وطرحت انطلاقا من ذلك الفرضيات الأساسية الآتية:

- من كان يروي الأحداث في الرواية ويبلورها لتمثل نزعة واقعية على نحو ما ؟ هل هو السارد أم الشخصيات؟

- كيف كان موقع الراوي من هذه الأحداث؟

- كيف اشتغل الكيلاني على أنماط الرواة؟ وكيف كانت وجهة نظره الفلسفية السردية؟

- هل استطاع الكيلاني أن ينقلنا بواقعية إلى ما يروى .. ؟ وإلى أي حد استطاعت لعبته الفلسفية السردية أن تدخلنا إلى عالمه السردي بما يضمره من متعة وجمال فلسفيين ..؟؟

1-التمظهرات البنيوية للراوي في المنظور النقدي :

1-1 أنماط الروّاة في فلسفة التحليل البنيوي :

يعتبر الرّاوي محورا هاما في عملية السرد الروائي،فهو" ليس مجرّد واسطة محايدة بين الرّوائي والقارئ بل هو في حقيقة الأمر موضوع السرد برمّته" (الباردي، 2000، صفحة 7). وهو المكوّن الأهم في الرواية، "حيث يمثل صوته حقيقة محورها، ومن ثم فقد لا نسمع صوت المؤلّف، ولا صوت الشّخصيات، ولكن من دون سارد لا يمكن أن تكون رواية. إنّه الشّخصية الرّوائية التي بدونها سيبقى الخطاب السّردي في حالة احتمال، ولن يتحوّل لحقيقة، ما دمنا نستطيع تصوّر حكاية بدون سارد" (بوطيب، 1993، صفحة 69) . وهذا يعني فيما يعني أن الروائي في حد ذاته متشبث بما يرصده و ما يخزنه من رؤى فلسفية ، يحولها وفق إرادته الفكرية إلى وجهة نظر لها منطقها الفلسفي المتماهي مع معطيات الواقع.

ويعرّف الراوي– هاهنا – بنيويا ، بأنّه "وسيلة، أو أداة تقنية، يستخدمها الكاتب ليكشف بها عالم قصّه، أو ليبثّ القصة التي يروي" (العيد، 1990، صفحة 90). ويعرّف أيضًا بأنه "الشخص الذي يروي القصة" (ابراهيم، 1990، صفحة 61). أو "الصوت الخفي الذي لا يتجسد إلا من خلال ملفوظه" (ابراهيم، 1990، صفحة 61). وهو الذي "يأخذ على عاتقه سرد الحوادث ووصف الأماكن

وتقديم الشّخصيات، ونقل كلامها والتعبير عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها" (قاسم س.، 1984، صفحة 158). وهو الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها، سواء كانت حقيقية أم متخيّلة" (عزام م.، 2005، صفحة 83). هذه المفاهيم و ما تحمله من تأسيس معرفي تحيلنا على كثير من وجهات النظر لدى الروائي المتمسك بوقائع المكان و الزمان الذي يتحرك فيه وفق مسلماته.

أساس التعامل مع الراوي يستدعي من الدارس تحييد الروائي، والبدء من الراوي بوصفه زاوية رؤية فلسفية. كما يتطلب ضرورة الانتباه إلى موقعه، ودوره في السرد، والمساحة التي يشغلها سواه، وحالات تجرده من مسؤولية السرد وفسح المجال للآخرين ليتولوا ذلك عنه. ولهذا "تتعدد زوايا الرؤية التي منها يسرد الراوي، وبالتالي تتعدد هوية "الرواة".

وبهذا التعدد "تتعدد إمكانيات التشكيل لعناصر بنية النص، ويترك ذلك أثره على نسق بنية النص نفسه" (العيد، 1983م، صفحة 80).

كما أن دراسة موقع الراوي تفرض على الدارس تحديد الموقع الذي يحتله الراوي أثناء سرده الحدث، هل هو مجرد مشاهد؟ أم هو مشارك؟ مع اختلاف الضمير المعتمد في السرد، ومع التفاوت الواضح بين الراوي العالم بكل شيء ذي الرأي، والراوي العالم المحايد، والراوي بضمير المتكلم "أنا" يروي قصته وآخر يروي بالضمير "هو". كلّ هذه محدّدات بارزة في التعرّف إلى تقنيات الراوي في الأحداث (المحادين، 1999، الصفحات 10-11) .

1-1-1الراوي العالم :

يعد الراوي العالم النمط الأكثر شيوعا بين أنماط السرد، وقد يكون استعماله شاع بين الرواة الشفويين أولا ثم بين الكتاب آخرا (مرتاض، 1998، الصفحات 178-179) ، وهو يطلق عليه "الرؤية من الوراء"، وفيه يعمد الروائي إلى الوقوف خلف راو عالم يقدّم من خلاله ما يريد أن يبثه في روايته، ويعتمد هذا

النمط على مفهوم الراوي العالم بكل شيء، والذي يهيمن على المادة الروائية ككل، فيتدخل في سيرورة الأحداث، ويصف الشخصيات، ويقدّم الزمان والمكان، وهو غالبا ما ينحاز إلى أبطاله انحيازا مكشوفا تارة وخفيّا تارة أخرى، وقد يكون مشاركا في الأحداث إما شاهدا أو بطلا، أو غير مشارك فيها (العيد، 1986، صفحة 83).

غير أن ما يعيبه النقّاد على هذا النوع من الرواة أنه يسبب التفكك وعدم التناسق في القص، "حيث الانتقال المفاجئ من مكان إلى مكان أو من زمان إلى زمان أو من شخصية إلى شخصية دون مبرر، بل الانطلاق من بؤرة قصصيّة محددة تكون نتيجته التشتت وعدم الترابط العضوي بين المقاطع المختلفة في الرواية" (قاسم س.، 1984، صفحة 133).

ويقسم هذا النوع من الرواة بحسب تصنيف فريدمان إلى (يقطين، 1997، صفحة 286):

1- المعرفة المطلقة للراوي –المرسل: وهنا نكون أمام وجهة نظر المؤلف غير المحدود وغير المراقبة، وهو يتدخل سواء اتصلت تدخلاته بالقصة وأحداثها أو لم تتصل .

2- المعرفة المحايدة: وهذه الوجهة تختلف نسبيّا عن الأولى. فالراوي هنا يتكلّم بضمير الغائب ولا يتدّخل ضمنا، ولكن الأحداث لا تقدّم لنا إلا كما يراها هو لا كما تراها الشخصيات .

1-1-2الراوي المشارك:

هو راو "ينفعل ويفعل في مجريات الأحداث كشخصية من الشخصيات" (يقطين، 1997، صفحة 292)، وينطلق من أسلوب السرد الذاتي، وهو راو محدود العلم، لا يعرف عن أحداث الرواية أو شخصياتها إلا ما شاهده، ومرّ به، ويستطيع تبادل المعلومات مع باقي شخصيات الرواية، والضمير "أنا" هو الضمير

الأكثر استخداما لهذا النوع من الروّاة، ولكنه قد يستخدم ضمير المخاطب "أنت" بوصفه نزعة فلسفية ، ولا سيما حين يناجي نفسه في حوار داخلي أو مسموع .

والراوي المشارك بطل يروي قصته، "لكنه ليس تماما البطل، ذلك أن الراوي هو من يتكلم في زمن حاضر عن بطل كأنه هو الراوي. وقد وقعت أفعاله في زمن مضى، أي لئن كان الراوي هو البطل فإنّ ثمة مسافة زمنية بين ما كانه وما أصبحه، أي بين البطل الشخصية في الزمن الماضي والراوي في الزمن الحاضر. وعليه لا يعود الراوي هو (البطل) وليست الرواية (سيرة ذاتية) بل هي سرد يستخدم تقنية الراوي بضمير الأنا، ليتمكن من ممارسة لعبة فنية تخوّله الحضور" (عزام م.، 2005، صفحة 89). هذا التصور يؤكد البعد الجمالي الفلسفي لطبيعة الراوي المشارك، و ما يمثله من رؤية مندمجة في صميم الفعل السردي.

يعدّ استعمال الراوي المشارك– لذلك - مصدر راحة فلسفية جمالية للروائي في مجال التأليف، فهو أسلوب يتكوّن على هواه، لأن البطل يمنح القصة وحدة غير قابلة للانفصال بمجرد عملية سردها (لوبوك، 2000، صفحة 124)، ويهيمن حضوره على الرواية بهذه التقنية فتصدر الأحداث منه وترتد إليه (المحادين، 1999، صفحة 26).

يرى بعض الدارسين أن استخدام الراوي المتكلم بالضمير "أنا" يمنح الإيهام الشديد بالواقعية اللصيقة بالبطل ويستبعد احتمال الالتباس أو تدخل الراوي في أحداث يراها من الخارج (المحادين، 1999، الصفحات 25-26).بيد أن البعض الآخر يرى خلاف ذلك، فالسرد بضمير المتكلم، حسب رأي البعض، "قلما ينجح في الإيهام بالحضور والفورية، وهو أبعد ما يكون عن تسهيل التماهي بين البطل والقارئ" (أمندلاو، 1997، صفحة 126). ذلك لأن هناك مسافة زمنية واضحة بين الزمن الذي وقعت فيه الأحداث وزمن سرد الراوي لها، كما أن استخدام

ضمير المتكلم يقيّد الراوي فيجعل تقديمه للشخصيات الروائية حين يريد تحليل ردود أفعالها اللاشعورية وأهوائها بوساطة حيل متكلفة غير مقنعة.

1-1-3الراوي الشاهد :

يترجّح استخدام هذا الراوي في شكلين رئيسيين: الأول أن يكون حاضرا في النص السردي، ولكنه لا يتدخل، بل يروي ما ترى عيناه من أحداث أو مشاهد، ويكون بينه وبين ما يرويه، أو ما يروي عنه مسافة (العيد، 1986، صفحة 100) ، والثاني أن يكون خارج الحكي غير ممثّل، أي أن هذا النوع من الرواة بمثابة عدسة الكاميرا التي تلتقط أفعال الشخصية بشكل محايد .

والراوي الشاهد راو محدود العلم، لا يقدّم أيّة معلومات تتعلق بالشخصيات الروائية إلا بعد أن يراها. وهو ينفتح على جميع الضمائر، فقد يستخدم ضمير المتكلم "أنا" وهو الأصل للراوي الشاهد، وقد يستخدم الضمير "هو"، وفي هذه الحالة قد يكون الراوي إحدى شخصيات الخطاب السردي، وقد يكون راويا عالما. فالراوي العالم لا يقف عند طبيعة واحدة بل ينوّع ويلوّن وفق ما يقتضيه سياق فلسفة السرد، فقد يبدو مجرد شاهد

على الحدث الروائي ينقل ما يقع عليه نظره إلى المروي له بحياد تام. ويمكن له "أن يتدخل في سيرورة الأحداث ببعض التعاليق أو التأملات، تكون ظاهرة وملموسة إذا ما كان الراوي شاهدا لأنها تؤدي إلى انقطاع في مسار السرد" (لحميداني ح.، 2000، صفحة 49).

ونستطيع أن نوجز مظاهر هذا النوع من الرواة في السرد على الشكل التالي:

1- راو عالم يروي من الخارج بالضمير "هو"، وينقل ما يراه دون أن يتدخل .

2- راو ممثل في الأحداث يروي ما يرى دون أن يكون مشاركا في القصة، أي راو يمارس الحكي لكن موضوع حكيه لا يرتبط بذاته، وإنما بذات مختلفة عنه تصبح موضوعا له. وقد يستخدم الضمير "أنا" أو "هو" .

2-1 فلسفة الراوي وأنماطه في الخطاب الروائي لنجيب الكيلاني :

1-2-1 المنطق الفلسفي للراوي العليم في الخطاب الروائي لنجيب الكيلاني :

1-1-2-1فلسفة الراوي العليم في رواية "عمر يظهر في القدس" :

يحظى هذا النوع من الرواة بالمعرفة الفلسفية الكلية والشاملة، وكذا الحرية المطلقة في النص السردي، فهو يعرف كل شخصيات الرواية، ويتنقل من واحدة إلى أخرى، كما أنّه يستطيع التحدّث في مكان أي شخصية، وينتقل من حدث إلى آخر، "يمتلك القدرة في إعطاء المعلومات، أو حجبها والتعليق على الشخصيات مادحا أو قادحا" (أبو شريفة ولاقي قرن، 2008، صفحة 126) ، فالراوي هنا يعرف أكثر مما تعرفه الشخصية نفسها، إنه يمثل السلطة العليا، يعلم ما يدور في الرواية ككل، فهو قادر على أن يتم عمل أي شخصية إن غابت، كما بمقدوره أن يمثل كل الشخصيات الثانوية، فهو"الذي يهيمن على عالم روايته والذي يمكنه – بذلك- أن يتدخل بالتعليق أو الوصف الخارجي دون التحليل أو التفسير" (العيد، 1986، صفحة 83)

ويتجلى كل ذلك في سطور رواية "عمر يظهر في القدس" ، حيث كان الرّاوي فيها عليما بكل الأحداث وبكل الشّخصيات الرئيسية منها والثانوية، ومن ذلك هذا المقطع السردي: "حاولت تهدئة خاطره، كنت أرى أن يعتصم بالهدوء في مواجهة واقع أليم يفيض بالتحديات والانحرافات، ولم تكن هناك وسيلة سوى أن أوضح له الحقائق في كلمات سريعة.. حاولت إعطاءه صورة لما حدث في عصرنا للمسلمين كيف ضعفوا وتخاذلوا، وكيف داهمتهم أوروبا بعلمها وخبثها وأحدث آلات الدمار التي استحدثتها، فاحتلت بلادهم سنين طويلة، وكيف نفثت سمومها في فكرهم ودينهم وتراثهم، فأثارت في صفوفهم البلبلة والاضطراب... (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 22) ".إن الراوي العليم مقتنع بوجهة نظره الفلسفية الإسلامية

التي ترفض الخذلان والتخاذل، وهذا يعني أن منطقه الإنساني يحمل بذور فلسفة يدين لها المجتمع بالولاء ويرفض لذلك انتهاكها تحت أي ظرف أيديولوجي.

من الأمثلة على الراوي العليم الذي يعلم كل شيء وكل ما يجري ما جاء في هذا المقطع السردي:" قستها بنظراتي الحائرة، وحاولت جاهدا أن أفهم ماذا وراءها، أهناك سر تطويه عنا، أم أن لها هدفا بعينه تريد تحقيقه ؟ هل مجرد ميلها إلى الشيخ، ورغبتها في العبث والاستجابة لخيالات المراهقة التي غزتها الروايات والسينما والمجلات الخليعة، هل هذا هو كل شيء ؟ أم تراها جاسوسة ماهرة تحاول أن تهتك سر الغموض الذي تظنّه وراء الشيخ، إنّها أمور محيّرة، فلقاؤنا معها في البداية جاء عن طريق الصدفة البحتة" (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 81) فالراوي هنا ملمّ بكل أحوال الشّخصيات، وكل الأحداث التي تجري في مدينة القدس.

1-2-1-2 فلسفة الراوي العليم في رواية "الربيع العاصف" :

يعدّ هذا الراوي أحد أهم الأنماط السردية التي تجعل السّارد مطّلعا على كل شيء، حتى الأفكار السرية للأبطال، والتحكم الكامل في إيراد الوقائع السردية وترتيبها (الحاج، 2008، صفحة 104). فقد تتضخم شخصية الراوي إلى درجة لا تتيح لنا فرصة إلا لسماع صوته فحسب. (الكردي ع.، 1991، صفحة 150)

يختار الكاتب راويا يطل على الأحداث من موقع الراوي العليم بكل شيء، يدفعنا إلى داخل الأحداث مباشرة، يقول الراوي: "تلفتت منال حولها –وهي في بيت حامد المليجي- وشملت المكان بنظراتها الفضولية، حجرة الاستقبال جميلة، فاخرة الأثاث، حتى التّماثيل الخزفية موجودة فيها.. ودخلت امرأة ريفية تتعثّر في حيائها وخجلها... وتلف شالها الأسمر الحريري فوق رأسها وحول عنقها والنصف الأسفل من وجهها، وتمتمت في ارتباك.." (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 50).

هكذا يفرض السارد العليم هيمنته ورؤيته الفلسفية على أسئلة الرواية، جاعلا نفسه في وضعية تعبيرية تساعده على استيعاب العالم كله، إنه يرى بعيون "منال" ويشعر بشعورها، معتمدا فلسفة اللغة كأداة للاحتواء ووسيلة للتشكيل و إعادة البناء.

1-2-1-3 فلسفة الراوي العليم في رواية" رمضان حبيبي" :

يسعى الراوي العليم إلى تقديم الشّخصيات بكل مالها من سمات، وملامح فكرية، وبكل علاقاتها مع الشّخصيات الأخرى، وبما قد تحمله من متناقضات، "فهو الصوت غير المسموع الذي يقوم بتفصيل مادة الرّواية إلى المتلقي، وربما يكون الشخص الموصوف مظهرا مخبرا داخل النص، ممن يتولّى مهمة الإدلاء بكامل تفاصيل عالم الرواية (سويدان، 2006، صفحة 117). وقد قامت الروايات التقليدية على هذا النوع من الرواة، الذين ليس لمعارفهم حدود، فالراوي كلي العلم "يستطيع أن يصل إلى كل المشاهد عبر جدران المنازل، كما أنه يستطيع أن يدرك ما يدور بخلد الأبطال" (نمر محي الدين، 2012، صفحة 25).كما هو الحال بالنسبة لهذا المقطع السردي أين يقول الراوي: "أقبل الليل، لم تهدأ المعركة، سمع أحمد في راديو ترانزستور، أن القوات العربية تخوض أعنف معركة للدبابات، لم ير لها العالم مثيلا حتى في الحرب العالمية الثانية، وأن عددا كبيرا من طائرات العدو قد أسقط بفعل الصواريخ المصرية، واستسلم عدد كبير من الأسرى، كما استسلم لواء للعدو بقيادة الضابط عساف ياجوري الذي كان يريد دحر القوات العربية، والقيام بحركة التفاف حولها، وثارت التعليقات المتشنجة في دوائر العدو السياسية والعسكرية لهذه الهزيمة.... " (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 94) .الظاهر من خلال هذا المقطع السردي أن الذات المتلفّظة، والقائمة بفعل القول هي التي قامت باختيار هذه الأخبار وانتقاء الأحداث خدمة للموضوع العام

الذي تحرّكت في مجاله جميع الشخوص، ألا وهو الوطن والثورة، فانتهت حياة الشخصيات المشاركة واحدة بعد أخرى ، ولم تكن حركتها لتخدم الموضوع العام.

1-2-2فلسفة الراوي المشارك في الخطاب الروائي لنجيب الكيلاني:

1-2-2-1 فلسفة الراوي المشارك في رواية "عمر يظهر في القدس" لنجيب الكيلاني:

في كثير من الأعمال الروائية يقترب الراوي من الشخصيات اقترابا كبيرا، فيصبح على معرفة بموقعها وكذا الأحداث التي تجري أو تحصل لها، كما أنه يتقاسم معهم الزمان والمكان وقد تكون مشاركته هذه كليّة أي أساسية أو ثانوية وهذا هو الراوي المشارك حيث يسمّيه "جيرار جينيت" "التبئير الداخلي أي حكي القصة من داخلها على لسان إحدى شخصياتها " (عزام م.، 2005، صفحة 99) من الأمثلة على هذا النوع من الرواة نذكر هذا المقطع من رواية "عمر يظهر في القدس" : "لم أكن أدري ماذا أفعل، إنها الطامة هذه المرة، وعودتهم تعني أمرا خطيرا. وإذا لم يجدوا الجاني فستقع النكبة على رأسينا، وكيف نستطيع إثبات البراءة أمام هؤلاء التتار؟ وفجأة تحطم الباب، ووجدتهم أمامي، امتلأت بهم الصالة.. نفس الوجوه...وفوّهات المدافع.. والعيون الحاقدة التي تقدح بالشرر.. كنت في الحقيقة أرتجف، ولكزني الخليفة قائلا: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ " (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 54). الراوي هنا كان أحد شخوص الرواية المشحونة بإيقاع فكري له مرجعيته الدينية و الاجتماعية، فكأنه باستخدام التعابير الآتية:" لم أكن أدري ماذا أفعل، ستقع النكبة على رأسينا، كنت في الحقيقة أرتجف" يعلن حضوره المطلق، فهو لا يكتفي بسرد أحداث الرواية بل يعدّ بطلا من أبطالها المحملين بنزعة فلسفية لها مبرراتها في الواقع القريب.

1-2-2-2فلسفة الراوي المشارك في رواية "الربيع العاصف" لنجيب الكيلاني :

إنّ مزية هذا النوع من الرواة داخل التشكيل السردي البنيوي، هي قربه الوثيق من الحوادث التي يرويها، كونه أحد الأشخاص الذين جرت وقائعها لهم واكتووا بنارها، وهو شديد الالتصاق أيضا بالأشخاص الذين يتصارعون، أو يتحاورون في الحكاية (خليل إ.، 2010م، صفحة 79).

وهذا السارد يتحمل في الحقيقة تبعات ما يروي، فنحن عندما نقرأ رواية كتبت بهذه الطريقة، نكاد ننسى المؤلف تماما، فإن أقنعنا بصحة ما يروي عزونا هذه الثقة له لا للمؤلف وإذا شككنا ببعض ما يذكره، أو ما يمكن احتسابه ضمن التحليل الباطني للشخوص، فإن تبعة هذا الشك تقع عليه لا على المؤلف (خليل إ.، 2010م، صفحة 79).

إنه سارد يسهم في اللعبة– كما يبدو -، ومن ثم فإن النوايا التي يضمرها هي التي تكشف عن صحة مواقفه ما إذا كان صادقا فيما يقصه، أو غير صادق، وإذا تأمّلنا المثال السردي التالي، نجد أن هذا النوع من الرواة ينشئ علاقة مع القارئ، فيتلقى الوسيط ويغدو القارئ على تماس بإحدى الشخصيات، أي أن المسافة بين القارئ والقصة تتراجع إلى أدنى درجة ممكنة (جينيت، 2003، صفحة 183).

يقول الراوي : "لكن سعادة منال لهذه الخواطر كانت طارئة، سرعان ما تبخرت، تركت في قلبها ألما عميقا.. لقد كان في تصرفها رعونة واستهتار.. فيما أخذت الهدية، وفيما ردتها؟؟ ثم إن كلمات المعلم حامد الواعية التي تحمل أكثر من معنى، وأرغمتها على التفكير فيها قد سببت لها الإزعاج، وشوّهت كبرياءها العائدة، وتذكّرت عبارته الأخيرة "الناس هنا لا يأخذون كلام النساء مأخذ الجد.." يا له من رجعي حقير...وأفاقت منال إلى نفسها ثم قصدت لتوّها السرير الذي يستلقي فوقه الباشكاتب عبد المعطي ، وقرّبت مقعدها منه وهي تقول: الليل

طويل.. والجو حار. .لم أستطع النوم مبكّرا ..ومن ثمّ أتيت إليك.." (الكيلاني ن.، 2015، الصفحات 85-86). يختصر النص فلسفة الراوي المشارك في رواية الربيع العاصف، وما يتجاذبه من قناعات ووجدانات.

1-2-2-3 فلسفة الراوي المشارك في رواية "رمضان حبيبي" لنجيب الكيلاني :

الراوي المشارك شخصية من شخصيات الرواية، يحكي عن نفسه وعن علاقاته بالشخصيات الأخرى، وهو في سرده يعتمد ضمير المتكلم (أنا)، ويسمي الدكتور يوسف نجم طريقة هذا الراوي المشارك في رسم الشخصيات والأحداث من الداخل "بالطريقة التمثيلية"، لأن الكاتب يتنحّى بنفسه جانبا ليتيح للشخصية التعبير عن نفسها، أما الراوي من الخلف فهو يرسم الشخصيات والأحداث من الخارج لذلك يستخدم الطريقة التحليلية (نجم، 1989، صفحة 320).

ويرى "حميد لحميداني" أن هذا الراوي شخصية حكائية موجودة داخل الحكي، وهو راو ممثل داخل الحكي، ولكن هذا التمثيل له مستويات " فإما أن يكون الراوي مجرد شاهد متتبع لمسار الحكي، ينتقل أيضا عبر الأمكنة، ولكنه لا يشارك مع ذلك في الأحداث، وإما يكون شخصية رئيسية في القصة" (لحميداني ح.، 2000، صفحة 49).

وقد أشار (وين بوث) إلى هذا التفاوت من خلال وجهات النظر الداخلية في قوله: "... إن الرواة يختلفون في مدى تورطهم في الحدث، فقد يستطيع الكاتب تقديم وجهة نظر فلسفية داخلية، غير أنها سطحية الرؤيا، ويمكن أن تتعمق من الناحية الفلسفية الأخلاقية نسبيا ولكنها نادرا ما تتجاوز السطح من ناحية نفسية، فيبقى بعضهم على السطح في الأبعاد الأخلاقية، واستخدام السرد بصيغة المتكلم، يحل جزءا من هذه المشكلة ولكن إلى أي حد يكون الراوي واعيا لذاته" (بوث، 1994، صفحة 191)، ومثال ذلك ما جاء في هذا الحوار: وصاح

صوت: "قف..."، توقّف أحمد وهو معصوب العينين..وتحسّسوا جيوبه ، وفتّشوه تفتيشا دقيقا، حتى ضمادة رأسه فكوها، ثم أعادوا ربطها..وصاح سجان:"ادخل" .ووضع أحمد يده على جيبه وهتف في ضيق: "أين مصحفي؟؟". ردوا عليه: "ممنوع.."، قال أحمد:" هل تمنعون العبادة.."، قال الجنود الإسرائيليون: الأوامر أن نجرّدك من أي سلاح.."، قال أحمد: "لكن المصحف..". فقاطعه السجان قائلا: "المصحف سلاح.." (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 116). إن ما يتضمنه النص واضح في نزعته الفلسفية التي تؤرخ سرديا لفكرة الصراع الحاد بين العربي المسلم الفلسطيني مع الجندي الإسرائيلي الذي ينتهك الأرض و العرض ، وما ينتج عن ذلك من صدام واقعي ، يثبته الروائي نجيب الكيلاني بشكل قاطع في سياق رواية "رمضان حبيبي" ، وهو واضح حتى في مفردات الخطاب السردي التي ترتبط بوجهة النظر الإسلامية : " المصحف سلاح " وهذا منطق كاف تتلبس به فصوص النص السردي و ما تنطوي عليه من قناعات أيديولوجية دينية .

1-2-3 فلسفة الراوي محدود العلم في الخطاب الروائي لنجيب الكيلاني:

1-3-2-1 فلسفة الراوي محدود العلم أو المحايد في رواية "عمر يظهر في القدس" لنجيب الكيلاني:

إنه أقل معرفة من العالم، فمعرفته ليست كلية إنما محدودة، فهو لا يستطيع أن يقوم بدور أي شخصية لأنه لا يعرف شيئا سوى دوره، كما يمكن لهذا الراوي أن يندرج في أحداث غير صادقة "وعلى القارئ أن يكون حذرا أمام هذا الراوي فقد يكون غير صادق، أو دقيق لأنه يقدم تحليلا من ثقافته" (أبو شريفة ولاقي قرن، 2008، صفحة 126)، وهناك من يصطلح على هذا النوع بـ "الراوي العليم المحايد"، إذ رغم أنّه يعلم أنه كل شيء إلا أنه يبقى متفرجا على الأحداث فقط "هذا الراوي رغم ظهور صورته في القصص ورغم معرفته الكاملة

بكل شيء فإنه سلبي لا موقف له ولا رأي له" (الكردي ع.، 1991، صفحة 115). أي أنه بمعنى فلسفي نقدي شخص مستلب الى حد كبير.

إنّ مهمة هذا الراوي تقتصر على رصد الأحداث والأشخاص والمكان دون تدخل في الأحداث وهذا مثال جيد للراوي الذي يكتفي برصد الأحداث "جلس الخليفة على طاولة الكشف النظيفة البيضاء، وأخذت عيناه تدوران في أرجاء الغرفة مكيفة الهواء، ويرقب الأضواء المشعة من السقف حيث لمبات النيون الصافية، وينظر إلى الصور الملونة التي تبرز أحشاء الإنسان وأجهزة جسمه المختلفة، واتسعت حدقتاه وهو يرى هيكلا عظميا كاملا معلقا في ركن من أركان الحجرة" (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 96). هذا الراوي لا تهمه ما في الدنيا من مواقف فهو منصرف الذهن الى الأشياء التي لا تسمن و لا تغني من جوع أي أنه ذو شخصية ضعيفة ، إيقاعها شبه نائم. فيما يعني أنه لا فلسفة له و لا منطق في الحياة.

2-3-2-1 فلسفة الراوي محدود العلم في رواية "الربيع العاصف" لنجيب الكيلاني :

استفاد الراوي محدود العلم، من موقعه من خلال منظور محايد، لا يتدخل بإصدار الأحكام أو الآراء، فهو مجرد راصد يسجل الحركة، ويصور الأماكن والأشياء وينقل أصوات الشخصية (قاسم س.، 1984، صفحة 180). ، ومثال ذلك ما جاء في المقطع السردي الآتي: "وعندما ارتمى فوق حصيره البالية في الحجرة المختصرة الضوء في بيتهم، نظر نظرة طويلة إلى الركن المعهود حيث تتكدس أوراقه ومحبرته وأقلامه، وقد تراكم عليها التراب.. وما إن جاء الليل حتى أحضر لمبة غازية مضاءة، و"طبلية" خشبية، ونثر أمامه الأوراق، وخلع ملابسه، وبقى لابسا فانلته وسرواله الأبيض... (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 82). الراوي

هنا مختصر إلى حد السذاجة أو بمعنى آخر (صاحب قلب ميت) يأكل و يشرب و ينام ، بدون شخصية مشكوك الهوية بارد الأثر.

3-3-2-1 فلسفة الراوي محدود العلم في رواية "رمضان حبيبي" لنجيب الكيلاني :

يكثر الراوي العليم المحايد من الحديث عن الأشخاص لا يتحدث أبدا عن نفسه، فكأنه موجود وغير موجود في الوقت ذاته، وما يرويه هو الدليل على وجوده، لكنه أيضا يحاذر أن يتكلم بضمير المتكلم، فالضمائر الشائعة المتداولة في سرده للحوادث هي ضمير الغائب والغائبين، والمخاطب والمخاطبين، عندما يتحاور الأشخاص (خليل إ.، 2010م، صفحة 82)، على نحو ما سنقرأه في هذا النموذج السردي، الذي يقول فيه الراوي: "كان اللقاء في غرفة صغيرة قليلة الأثاث، كانت جليلة تجلس متوترة الملامح تعبث أناملها بشعرها تارة، وبحقيبة يدها تارة أخرى، وأخيرا جاء.. لقد بدا نحيفا هزيلا طويلا، يتطوح كغصن منزوع ذبل الأوراق، شحيح النظرة، اختفت سوالفه الطويلة وشعره المرسل، وولت أناقته... " (الكيلاني ن.، 2015، صفحة 89). إن ما يحيلنا إليه النموذج السردي في هذه الرواية أن الراوي محدود العلم في رواية الربيع العاصف شخصية متآكلة صدئة الى حد الانكسار الهائل ، الذي لا ضمير له لا أخلاقيا ولا واقعيا ولا أيديولوجيا ولا دينيا.

4. خاتمة:

نخلص إلى أنّ الكيلاني قد وظّف هذا المكوّن السردي "الراوي" بذكاء سردي ودراية فلسفية، لا من حيث تقصّيه للأصوات، ولا من حيث الموقع الذي احتلّه في المتن، فالراوي في الروايات الثلاث كان داخل حكائي، ويتبيّن ذلك من خلال القرب الذي لمسناه ، كما أنه كان مشاركا في الأحداث مما جعلنا نتوهّم واقعية النص، وهو صميم النزعة الفلسفية التي يؤثرها السارد على نحو بارز في متونه الروائية التي أثارت حفيظتنا النقدية .

5. قائمة المصادر و المراجع:

المصادر

الكيلاني نجيب ، (2015)، الربيع العاصف، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر.

الكيلاني نجيب ، (2015)، رمضان حبيبي، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر.

الكيلاني نجيب ، (2015)، عمر يظهر في القدس، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، مصر.

المراجع

ابراهيم، عبد الله ، (1990)، المتخيّل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، ط1 ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

أبو شريفة، عبد القادر، ولاقي قرن، حسن، (2008)، مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، ط4، دار الفكر ، الأردن.

الباردي، محمد، (2000)، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

الحاج، هيثم علي، (2008)، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

العيد يمنى ، (1990)، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط1 ، دار الفارابي، بيروت.

العيد يمنى ، (1986)، الراوي الموقع والشكل ، ط1 ، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، لبنان.

يمنى العيد، (1983م)، في معرفة النص (الإصدار ط1)، دار الفارابي منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت.

الكردي، عبد الرحيم، (1991)، السرد في الرواية المعاصرة ، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.

المحادين، عبد الحميد، (1999)، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

أمندلاو، أ، (1997)، الزمن والرواية، ترجمة، تحقيق بكر وإحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان.

بوث، واين، (1994)، بلاغة الفن القصصي، ترجمة أحمد خليل وعلي أحمد ، ط2، مطابع جامعة الملك سعود،الرياض.

بوطيب، عبد العالي، (1993)، مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف، مجلة فصول، مجلد11، العدد4 .

جينيت، جيرار، (2003)، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، تر محمد معتصم وغيره، ط3، منشورات الاختلاف ، الجزائر.

خليل، إبراهيم ،(2010)، بنية النّص الرّوائي، ط1، الجزائر دار الدراسة العربية للعلوم، الجزائر .

سويدان، سامي ، (2006)، المتاهة والتمويه في الرواية العربية، ط1، دار الآداب، بيروت.

عزام، محمد ، (2005)، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

قاسم، سيزار، (1984)، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.

لحميداني، حميد، (2000)، بنية النّص السردي(من منظور النقد الأدبي)، ط3 ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت.

لوبوك، بيرسي ، (2000)، صنعة الرواية، تر عبد الستار جواد، ط2، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان.

مرتاض، عبد المالك، (1998)، في نظرية الرّواية ، بحث في تقنيات السّرد ، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت.

نجم، محمد يوسف ، (1989)، فن القصة، ط10، دار الثقافة، بيروت.

نمر محي الدين، ناصر ، (2012)، بناء العالم الروائي، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.

يقطين، سعيد ، (1997)، يتحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.